**بسم الله الرحمان الرحيم**

**المحاضرة السابعة آفاق قراءة النصوص السردية العربية**

**تمهيد:**

شهدت الخطابات النقدية الغربية إنتاجية هائلة لمجموع الآليات الإجرائية لمقاربة النصوص السردية، هذا من جهة، ومن جهة ثانية يتأكد أمام هذا الوضع ظاهرة تخص السرد في حد ذاته، فقد شهد هذا الأخير اتساع مجالاته وسندنا في هذا الطرح هو اعتراف يان مانفريد والذي مفاده اتساع دائرة السرد وامتدادها إلى خارج حدود الأدبي بجملة: " السرد في كل مكان"1، وفي زاوية أخيرة من الطرح، يمكننا الإقرار بأن السرد وعلى وجه أخص المتخيل السردي العربي قد عرف إنتاجية تميزت بالغزارة والكثافة في ربوع الوطن العربي على مدار مرحلة العصر المعاصر.

انطلاقا مما سيق تتأكد أهمية العلاقة بين آليات المناهج النقدية الغربية وبين آفاق قراءة النص السردي العربي المعاصر، ومن هنا يتبلور سؤالنا الجوهري لهذه المحاضرة، وعليه،

ما هي آفاق قراءة النصوص السردية العربية المعاصرة؟

يمكننا المساءلة عن آفاق قراءة النصوص السردية العربية المعاصرة انطلاقا من قطبين رئيسين هما: قطب الآلية الجديدة، وقطب السرد المعاصر. أما تفصيلنا للآليات الإجرائية لمقاربة المتخيل السردي فسيبدأ أولا بالقطب الأول والمتعلق بآفاق قراءة السرد من خلال آفاق ميلاد الجديد من الآليات الإجرائية، وفي هذه النقطة يمكننا الإقرار بأن المناهج النقدية الغربية المعاصرة ما زالت وإلى غاية إلى يومنا هذا تحتفي بالمزيد من إنتاجية الآليات الإجرائية لمقاربة السرد، فجون ميشيل آدم استطاع أن يحقق نظرية في السردية تهتم بالسرد العادي المنطوق أو الشفوي، وذلك من خلال تنزيله " ضمن الحوار ودورات الكلام "مستفيدا من نظريات السرد عند الشكلانيين الروس والمدرسة الفرنسية متعديا إلى التقديمات الأمريكية في نظرية السرد بزعامة لابوف ووالتزكي، في إطار العزم على رصد قضايا السردية ضمن المجال الشفوي في استحضار واضح للمتلقي ضمن ما يعرف ببراغماتية التواصل القصصي2. ومما يمكن الإشارة إليه في هذه النقطة تحديدا هو أن النماذج السردية الشفوية عديدة ومتنوعة، فهل يعول فحسب على تقديمات فلاديمير بروب لمقاربتها؟ هل يمكن استحداث تنويع في الآلية الإجرائية لمقاربة هذا السرد الشفوي؟

وفي زاوية أخرى من الطرح تطالعنا آفاق جديدة على مستوى المناهج السيميائية لمقاربة المتخيل السردي، حيث شهد العالم الغربي ميلاد سيمياء المواقف، وهي آلية تقرأ سيميائيا السلوك المتولد من خلفية نفسية ناتجة عن بعض المواقف السلبية التي يمكن أن يكون قد تعرض لها البطل في حياته.

إن مستقبل آفاق قراءة النصوص السردية العربية مرهون بتحديث آليات المناهج النقدية والنموذجين السابقين لا يمثلان سوى بعض العينات من التجديد على مستوى الآلية، إذ ما يزال الراهن النقدي يشهد على المزيد منها والذي يستحيل حصره وإحصاؤه في هذه الأوراق.

أما تفصيلنا للقطب الثاني والمتمثل في آفاق قراءة النصوص من خلال الجديد من السرد العربي المعاصر، يمكننا القول عنها أنها إنتاجية عرفت من الغزارة والكثافة الشيء الكثير على مستوى السرد العربي المعاصر، وفي كل ربوع القطر العربي من مشرقه ومغربه، هذا السرد الذي عرف تشجيعا أفضت إلى منافسة إنتاجية عززتها عديد جوائز ترصد لأفضل السرود العربية، وعلى رأسها مسمى البوكر وغيرها.

إن هذه الغزارة والكثافة إن دلت على شيء فإنما أرادت أن تعكس مقولة أن المتخيل السردي العربي المعاصر وخاصة الجديد منه، ونقصد بهذا مجموع ما أنتج في الألفية الواحد والعشرين وأواخر القرن العشرين إنما أراد أن يفرض أهميته، وهذا ما تثبته جملة جون ميشيل آدم حيث يقول " إن صور السرد الأكثر تنوعا باتت تسم كافة مجالات وجودنا"3، إنه عصر السرد، هذا المتخيل السردي المعاصر وهو يشهد اختلافا من حيث المنطلقات، الرؤى، الغايات، وأهم الأهم طرائق السرد أو كيفية السرد، فبات لزاما الكشف عن ذلك من خلال الاشتغال على السرد مقاربة لكشف ما يختفي وراء السرد من رؤى، وطرائق، وتقنيات وقناعات، وربما فلسفات.

يمكننا تقديم بعض من النماذج السردية العربية المعاصرة، ومنها نذكر كتابة يوسف زيدان في معطاها الفلسفي وهي تتطرق إلى المسألة الدينية والتعددية الدينية من وجهة فلسفية، أو الطاهر وطار وهو ينطلق من فكرة التداخل الزمني بدلا من البنية الزمنية التي اقترحها جيرار جنيت، وكذا الشخصية الفكرة بدلا من الفكرة الرمز أو الشخصية المبنية على الطريقة البنوية فهي تحظى باهتمام وتأصيلات السيميائية فيها بشكل أفضل مما قدمته عنها البنوية. أو الرواية البورترية المتأثرة بالكتابة الصحفية والتسجيل والتأريخ والتاريخ مع جمال الغيطاني مع مجموع السرود لديه موزعة فيما بين القصة والرواية، وعلى رأسها جميعا الزيني بركات.

وفي زاوية أخرى من الاختلاف يطالعنا سرد الخيال العلمي الذي تمثله رواية حرب الكلب الثانية لنصر الله ابراهيم، وهناك الرواية النفسية ونموذجنا هو رواية أحلام مستغانمي التي تأسست على مجموعة من الرسائل، فهل يمكن القول أن هذا الأنموذج السردي يشيد بأنطولوجية سيكيلوجية الرواية حيث يتم النظر إلى رسائل المتخيل السردي كملفوظ سيكولوجي، مع التنويه إلى أن سيكولوجية الرواية قد أثث لها الغرب في تنظيراته النقدية عندما يتم التعويل على الرسالة لمقاربتها من الوجهة السيكولوجية، وقد أشاد بهذا قبلا تودوروف في مقال من مقلات السرد الأدبي.

أو يمكننا حتى مقاربة رواية أحلام مستغانمي من خلال سيمياء المواقف طالما أنها تستند إلى فعل ورد فعل، منبن أساسا من وجهة سيكولوجية. أو ربما يتم من خلال المتخيل السردي رصد مجموع المخاوف التي تعتري النفس البشرية، والتي ربما قد يصل بها الحال في نماذج أخرى إلى حد الرهاب، وفي هذا الباب نذكر رواية ألواح ودسر لخيري العمري. وأخيرا يمكننا إضافة آفاق السرد الجديد وهو يكتسي أهمية عندما يتعلق الأمر بالمتخيل السردي وهو يستكنه طروح العجائبي والغرائبي في أفضيته، ممثلا في رواية شعيب حليفي والطاهر وطار من خلال الحوات والقصر.

وبالإضافة إلى ما ذكر، تبقى آفاق قراءة النص السردي العربي المعاصر مرهونة بانشغالات السرد في حد ذاته فقد بات الكلام عن تحديث السرديات ومنها سرديات المنفى / سرديات الجسد / سرديات الهويات المزدوجة / التي بدأ الاشتغال عليها مقاربة .

إن السرد لم ينقطع كما أن الآليات النقدية لم تنقطع، لتكون في نهاية المطاف آفاق السرد العربي المعاصر وذاك من خلال الكشف عن مجموع التطويرات الحاصلة مع السرود المعاصرة من خلال الاستفادة من الآليات الإجرائية لمقاربة النصوص السردية العربية المعاصرة أنموذجا.